

محطات في مسار تأسيس علم الاجتماع العربي المعاصر: تحليل نقدي لإسهامات أحمد موسى بدوي- نظرية القواعد المتصارعة نموذجاً

عقون مليكة،

1- جامعة معسكر ، الجمهورية الجزائرية

malika.agoune@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 2019/12/16؛ تاريخ القبول: 2020/06/08

**Stations on the path of Establishing Contemporary Arab
Sociology A Critical Analysis to Ahmed Mousa Badawi's
Efforts Conflicted Rules Theory as a Model**

agoune malika

Abstract: Almost a hundred years ago, the Arab world was reading, studying and producing in sociology. These decades witnessed changes in the Arab interaction with this science. The beginning was traditional - static - did not exceed the French heritage, then there was openness to schools and other trends. But the problem of sociology in the Arab world, or to convey its real crisis, is that it is unable to produce tools, concepts and theories to understand and interpret social phenomena in the Arab world.

As we read and examine the emerging efforts of some Arab researchers in Arab sociology, we must recognize the current development in the field of sociology after the call from here and there to establish an Arab sociology based on freedom from the grip of Western sociology. And the Arab researcher to break into the field of theory and theories. And to stop using Western theories and concepts that fit only the spatial and temporal context of the West. Success in this is a first step on the threshold of establishing a scientific model in which we understand the specificity of our social, cultural, political and religious reality.

In this context, we must enrich the debate in one of the axes of this conference, with a research question: How can these

critical reviews be used and adapted to the Arab scientific and practical reality?

Perhaps the efforts of the Egyptian researcher, "Ahmed Moussa Badawi," is one of the attempts to increase the explanatory capacity of Arab researchers, and represents a model of the courage of theorizing, which makes his contribution worthy of debate on this scientific occasion, especially after the publication of Dr. Ahmed Musa Badawi his new theory (Badawi, 2018: 217-282)

As a first Arab researcher I experimented with conflicted rules theory (CRT) and tested its interpretive ability on the Arab reality through a field study prepared for the symposium "Salafism, its future and its transformations" organized by the Arab Relations Forum entitled "Salafist tide in Algeria from the policy of filling the vacuum to the conflict" To bring this effort to the attention and to introduce it in order to enrich it, and to adopt it later, and this is the subject of this paper.

Keywords: conflicted;; rules; theory; sociology.

الملخص:

قريبا من مائة عام، والعالم العربي يقرأ ويدرس وينتج في علم الاجتماع، وقد شهدت هذه العقود تحولات في التعاطي العربي مع هذا العلم، فالبدائية كانت تقليدية، استاتيكية لم تراوح تراث المدرسة الفرنسية، ثم حدث انفتاح على مدارس واتجاهات أخرى، لكن ظلت مشكلة علم الاجتماع في العالم العربي، أو لنقل أزمته الحقيقية، أنه غير قادر على انتاج أدوات ومفاهيم ونظريات لفهم وتفسير ظواهر الاجتماع في الوطن العربي.

ونحن نقرأ ونعاين جهودا صاعدة لبعض الباحثين العرب في السوسيولوجيا العربية، يجب علينا الاعتراف بالتطور الحاصل في الفترة الراهنة في مجال علم الاجتماع، بعد الدعوة من هنا وهناك لتأسيس علم اجتماع عربي يؤسس للتحرك من قبضة السوسيولوجيا الغربية. وعلى الباحث العربي اقتحام مجال التنظير والنظريات. والتوقف عن استهلاك النظريات الغربية ومفاهيمها التي تناسب السياق المكاني والزمني الغربي فقط. والنجاح في ذلك يعتبر خطوة

أولى على عتبة التأسيس لنموذج علمي نفهم به خصوصية واقعا الاجتماعي والثقافي والسياسي والديني.

وفي هذا السياق يتحتم علينا أن نثري النقاش في أحد محاور هذه المؤتمر، بسؤال بحثي مشروع: كيف يمكن توظيف تلك المراجعات النقدية وتطويعها لصالح الواقع العلمي والعمل العربي؟

ولعل جهود الباحث المصري "أحمد موسى بدوي"، تمثل إحدى المحاولات الدالة على ارتفاع القدرة التفسيرية للباحثين العرب، كما تمثل نموذجا لشجاعة التنظير، الامر الذي يجعل اسهامه جديرا بالنقاش في هذه المناسبة العلمية. خاصة بعد نشر الدكتور أحمد موسى بدوي نظريته الجديدة "القواعد المتصارعة" في مقال له بمجلة وادي النيل (بدوي، 2018: 217-282)

وباعتباري أول باحثة عربية قمت بتجريب نظرية القواعد المتصارعة واختبار قدرتها التفسيرية على ظواهر الواقع العربي من خلال دراسة ميدانية أعدت لندوة "السلفية مستقبلا وتحولاتها" من تنظيم منتدى العلاقات العربية معنونة ب "المد السلفي في الجزائر من سياسة ملء الفراغ إلى الصراع"، كان لزاما علينا إحاطة هذا الجهد بالاهتمام، والتعريف به قصد إثراءه، والأخذ به لاحقا، وهذا هو موضوع هذه الورقة.

.الكلمات المفتاحية: القواعد؛ المتصاعدة؛ النظرية ؛ علم الاجتماع، التغيير.

مقدمة:

لعل عملية اكتساب السوسيولوجيا الواردة من الغرب، ثم انتاجها، قد مرت بعدة مراحل في العالم العربي تكاد تكون متشابهة بين سائر أقطاره، شكّلت مراحلها الأولى حالة ستاتيكية لم تراوح تراث المدرسة الفرنسية، وبالنظر إلى حالة الارتباك والخط التي صاحبت عملية الترجمة أو التعريب لهذا الإرث والتي وسمته بالاندماج في السياسي، عن طريق توظيفه لتمرير ايديولوجية الأنظمة القطرية في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، حيث ظلّ العقل السوسيولوجي "أسير السياسي" لفترة من الزمن -حسب تعبير محمد حسين العطاس- الأمر الذي نجم عنه تعثر المسار السوسيولوجي منذ النشأة فضلا عن

افتقاره إلى المنهجية، وأدوات القياس والتجريب المناسبة، كذلك المراحل اللاحقة التي تلت مرحلة التأسيس القلقة، -والعبارة للباحث المغربي محمد الجسوس- حيث لم تشذ عن الانطلاقة الأولى، خاصة بعد تعميم علم الاجتماع في كافة الجامعات والمعاهد، وهو الأمر الذي نعتقد أنه زاد من تأزيم وضعيّة علم الاجتماع في العالم العربي، وفي سياق الحديث عن النشأة المتعثرة للسوسيولوجيا العربية، والإقرار بمشكلة نقل التراث الغربي، فضلا عن الإقرار بتنامي خطاب الأزمة في علم الاجتماع، نرى ونعائين جهودا صاعدة لبعض الباحثين العرب في السوسيولوجيا العربية، كما يجب علينا الاعتراف بالتطور الحاصل في الفترة الزاهنة في مجال علم الاجتماع، بعد الدعوة من هنا وهناك لتأسيس علم اجتماع عربي يؤسس للتحرر من قبضة السوسيولوجيا الغربية، عبر اقتحام مجال التّظهير، إذ يقول الدكتور أحمد زايد في هذا السياق: "لا يجب أن يجعلنا الجهد البحثي والنقدي للمنتج السوسيولوجي العربي، أن نغض الطرف عن التّظهير العلمي، بل إن البعض ينكر ذلك...ومن المتوقع أن يسود هذا الاعتقاد في ظلّ سيادة خطاب الأزمة الذي نودّ تجاوزه...وأظنّ أنّه سوف يهزم هزيمة كبرى على أصداء...جرأة اقتحام آفاق التّظهير للحداثة العربيّة"(زايد.أ.28). وبالتالي فإن فتح باب الاجتهاد عبر التّظهير لواقعنا العربي المختلف عن الواقع الغربي، والتوقف عن استهلاك النظريات الغربية ومفاهيمها الخاصة بسياقها وتاريخها فقط، هو خطوة أولى على عتبة التأسيس لخصوصيّة واقعنا الاجتماعي والثقافي والسياسي والديني .

وفي هذا السياق يتحتم علينا أن نثري النقاش بالنسبة لأهم أحد جوانب السوسيولوجيا العربية المتعلّق بأقلّمة علم الاجتماع ومدى الاستفادة من النظريات الغربية، وإمكانية توظيف البعض من تلك المراجعات النقدية وتطويرها لصالح الواقع العربي؟ ولعلّ جهود الباحث المصري "أحمد موسى بدوي"، تمثّل إحدى المحاولات الذّالة على ارتفاع القدرة التفسيرية للباحثين العرب، كما تمثّل نموذجا لجرأة التّظهير الجدير بالنقاش في هذه المناسبة، وباعتباري أول باحثة عربيّة قمت بتجريب نظرية القواعد المتصارعة واختبار قدرتها التفسيرية على

ظواهر الواقع العربي من خلال دراسة ميدانية أعدت لندوة "السلفية مستقبلها وتحولاتها" من تنظيم منتدى العلاقات العربية معنونة بـ "المدّ السلفي في الجزائر من سياسة ملء الفراغ إلى الصّراع"، كان لزاما علينا إحاطة هذا الجهد بالاهتمام، والتعريف به قصد إثراءه، والأخذ به لاحقا.

يعتبر الباحث "أحمد موسى عبد الحميد بدوي" باحثا سوسيولوجيا حرا، وهو حائز على دكتوراه، قسم علم الاجتماع في جامعة بنها بمصر برسالة مطبوعة موضوعها

"الأبعاد الاجتماعية لإنتاج واكتساب المعرفة في الجامعات المصرية" علم الاجتماع نموذجا "وله العديد من المنشورات من المقالات والكتب، فضلا عن المشاركة في عديد الملتقيات الدولية، كما أنه شغل عضوية الجمعية الدولية لعلم الاجتماع، والجمعية العربية والجمعية السوسولوجية المصرية. تنتمي جهوده البحثية لعلم اجتماع المعرفة، وقضايا المنهج، والاتجاه السوسيو ابستمولوجي.

نظرية القواعد المتصارعة المفهوم والنشأة :

في شهر أبريل الفارط نشر الدكتور أحمد موسى بدوي نظريته الجديدة "القواعد المتصارعة" في مقال له بمجلة وادي النيل(بدوي، 2018: -217-282)، تنتمي هذه النظرية إلى الاتجاه النظري في علم الاجتماع الذي يبحث علاقة الفعل بالبناء، وقد مثله في علم الاجتماع الغربي كل من بيير بورديو والانجليزي أنطوني جينز، مارجريت آرشر، مستفيدا بذلك من نظريات الصراع، خاصة لدى راندال كولينز، والنظريات التفاعلية خاصة البنائية الرمزية لدى شيلدن ستريكر، والبنائية الوظيفية الجديدة لدى جيفري الكسندر ونظرية المجتمع الكوني لدى أولرش بيك، فنظرية القواعد المتصارعة بعد تجربتها في أبحاث مختلفة، هنا في العالم العربي وغيره تبين لنا أنها تقدم لنا مفاهيم وعلاقات واضحة قابلة للقياس، بدلا من المفاهيم والعلاقات الغامضة السائدة في الكثير من النظريات السوسولوجية الغربية، وأنها قابلة للتطوير، فضلا على أن قدرتها التفسيرية قابلة للامتداد في عدد من فروع علم الاجتماع. كما يمكن الاستفادة منها في تطوير البحوث البيئية تتضمن هذه النظرية سنة مباحث فرعية، تتمثل

في كلّ من المفاهيم الأساسية، وفروض النظرية، الفعل الاجتماعي، القواعد البنائية، البناء الاجتماعي ثلاثي التركيب، آليات التغير الاجتماعي، وأخيرا العلاقة بين العوالم الاجتماعية. لقد كان دأب الدكتور أحمد بدوي من خلال أبحاثه المختلفة التوصل إلى مقولة تفسّر التغير الاجتماعي، والواقع العربي دون اقصاء لأيّ نوع من العوامل الاجتماعية، والثقافية، وبالتركيز على جميع الميكانيزمات، والأدوات الفاعلة التي تؤسّس لمرحلة اجتماعية معينة، حيث جمعت نظرية القواعد المتصارعة شتات النظريات الغربية ذات التوجهات المنهجية، والايديولوجية المختلفة، لقد ركّز على حالة الصراع، والصراع الشبه دائم، والتعايش، والسلطة، كما برهن بقوة من خلال فروض نظرية القواعد المتصارعة على أنّ الانتاج النظري في أيّ علم ليس حكرا على العقل الغربي وحده، لذلك توجت أبحاثه في ميدان سوسولوجيا المعرفة على مدار سنوات من البحث المتواصل بنظرية القواعد المتصارعة (CRT). التي نعمل ونأمل على إثرائها من خلال النقاش في هذا المنبر العلمي ومناسبات أخرى مستقبلا لتطويرها في البحوث البيئية المختلفة.

(Conflicted rules theory)

-أسس نظرية القواعد المتصارعة -المفاهيم والمقولات:

تجدر الإشارة قبل التفصيل في مفاهيم النظرية ومقولاتها إلى أنّ نظرية القواعد المتصارعة قد تأسست بناءا على عجز النظريات الغربية على تفسير الواقع العربي، فضلا عن اتسامها بنوع من القصور في تفسير طبيعة التغير في المجتمعات الغربية، مثل تفسير إعادة الانتاج عند -بورديو- في الأطروحات الصراعية، التي ركزت على عملية الصراع دون إيلاء الأهمية لجانب التغير، في مقابل ذلك نجد قصورا آخر بالنسبة لنظرية تشكيل البنية ل-جيدنز- التي أهملت دور العوامل الثقافية في التغير، وهكذا...وفيما يلي غلى الاطار المفاهيمي للنظرية موضوع العرض:

1-**الفعل الاجتماعي:** يعرفه الدكتور أحمد بدوي بأنه: "دافع شخصي لتحقيق غرض حيوي أو فكري، أو روحي، يتجسد في ممارسة التفاعلات والعلاقات الاجتماعية، ويتشكّل من خلال البيئة المادية،

والاجتماعية والروحية المحيطة والمؤثرة في الفاعل..." كما يشير صاحب النظرية، على أن الفعل الاجتماعي سابق في وجوده على البناء الاجتماعي، وهو مصدر القاعدة البنائية .

2-القواعد البنائية: وهي عبارة عن "أفعال مجردة من الزمان والمكان، وذات دلالة لغوية وقيمية ومعارية..." هذه الأخيرة تؤدي دورها في عملية التنشئة الاجتماعية سواء بشكل إرادي أخلاقي، أو بشكل قسري إلزامي ذا طابع قانوني تفرضه الجماعة .

3-البناء الاجتماعي ثلاثي التركيب: يتمثل في جملة من: "القواعد المجردة لإدارة الاجتماع البشري، كما يتكون من ثلاث أبنية فرعية هي:- البناء التفاعلي المباشر الذي يتكون من القواعد التفاعلية الشفاهية، ثم البناء المؤسسي التراتبي الذي يتأسس من القواعد العقلانية البيروقراطية، وأخيرا البناء النفقي المعتم..." تعيش هذه الأبنية فيما بينها حالة صراع دائم أو شبه دائم، أو تعايش نسبي .

4-العوامل الاجتماعية: يحدد لنا الدكتور أحمد بدوي: "خمس عوامل اجتماعية"، تتحرك في سياقها نظرية القواعد المتصارعة، بوتيرة تدريجية من البسيط إلى المركب إلى المعقد، يتميز كل عالم من هذه العوامل بنمط انتاج معين، وكذلك بمنظومة فكرية، وروحية خاصة إضافة إلى ميزات ديموغرافية ما، رغم أنها عوالم متداخلة ومتفاعلة مع بعضها البعض، هذه العوامل يمكن تقسيمها إلى قسمين -حسب الدكتور أحمد بدوي- وهما: 1-العوامل الداخلية (In realms)، وتتكون بدورها من ثلاث عوالم كالآتي: العالم الاج الصغير (Micro)، عالم المؤسسات والمجتمعات المحلية (Meso)، وعالم المجتمع الكبير (Macro) ، 2-العوامل الخارجية (Out realms)، وتضم صنفين من العوالم: مجتمع الاقليم (Reign Society)، والمجتمع الكوني (GlobalSociety). ولكل عالم اجتماعي خصائصه التي تميزه عن غيره، مثل البناء الاجتماعي، إضافة إلى نسق من القواعد البنائية ذو أهمية داخل نسق ما.

5-فروض نظرية القواعد المتصارعة:

-الفرض الأول: يمتلك كل عالم من العوالم الاجتماعية الخمسة امكانات ذاتية لتغيير نسق القواعد، بسبب القدرة البنائية للأفعال

الفردية، أو الجماعية، أو السلطوية الجديدة، كما يمكن أن يمتد أثر التغير إلى العوالم الاجتماعية الأخرى بسبب نظرا للعلاقات التفاعلية الرابطة بينهم.

-الفرض الثاني: قواعد البناء الاجتماعي ثلاثي التركيب (التفاعلي، المؤسسي، النفقي) داخل العالم الاجتماعي هي في حالة صراع داخلي شبه دائم، وصراع مع القواعد البنائية المناظرة لها في العوالم الأخرى، نظرا للخصوصية الكرونولوجية التي تميز البناء الاجتماعي المركب في كل عالم اجتماعي، وبطبيعة الحال مع التسليم بوجود أنماط من التكامل الجزئي، أو التعايش الذي يربط بين هذه الأنساق.

-الفرض الثالث: ينطلق من كون القوى الفاعلة في العوالم الخارجية (مجتمع الإقليم، المجتمع الكوني) تحاول بسط هيمنتها بفرض نسق القواعد البنائية الخاص بها على العوالم الداخلية، فرضا لا يخضع في أحيان كثيرة لشروط الحوار الحضاري، ولا يتفاعل مع عمليات التثاقف، كما لا يستجيب لمشاريع التنمية المرغوبة، يتجاوز كل ذلك بطريقة تعسفية قسرية لتغيير القواعد البنائية في العوالم الأخرى، الأمر الذي يتجه نحو فرض الصراع شبه الدائم وديمومته.

6-العلائق الأساسية الرابطة بين هذه الفروض:

-الفعل أساس التغير في البناء الاجتماعي: إذا أخذنا بعين الاعتبار التعريف السابق للفعل الاجتماعي، فإنه يتفق مع مختلف عوامل التغير الاجتماعي في العصر الحديث، على سبيل المثال لا الحصر: الصراعات، الحروب، الثورات الدينية والسياسية، التطور الاقتصادي، تقسيم العمل، التعليم...وبما أن التغير متعدد الأبعاد، فإنه ناتج، أو ناجم بالضرورة، سلبا، وإيجابا عن مجموعة أفعال انعكاسية (جمعية أو فردية، رسمية أو غير رسمية)، تستهدف هذه الأفعال إعادة تشكيل القواعد البنائية في البناء الاجتماعي ثلاثي التركيب، أو إلغائها، أو تغييرها إلى حد ما.

-مفهوم القواعد البنائية ونشأتها : تعتبر القواعد البنائية مفهوما محوريا بالنسبة لنظرية القواعد المتصارعة، وهي كما تمت الإشارة في السابق عبارة عن أفعال مجردة من الزمان والمكان، ذات دلالات مختلفة، يستحضرها الفاعل لتنظيم الدوافع، وتحقيق الأغراض

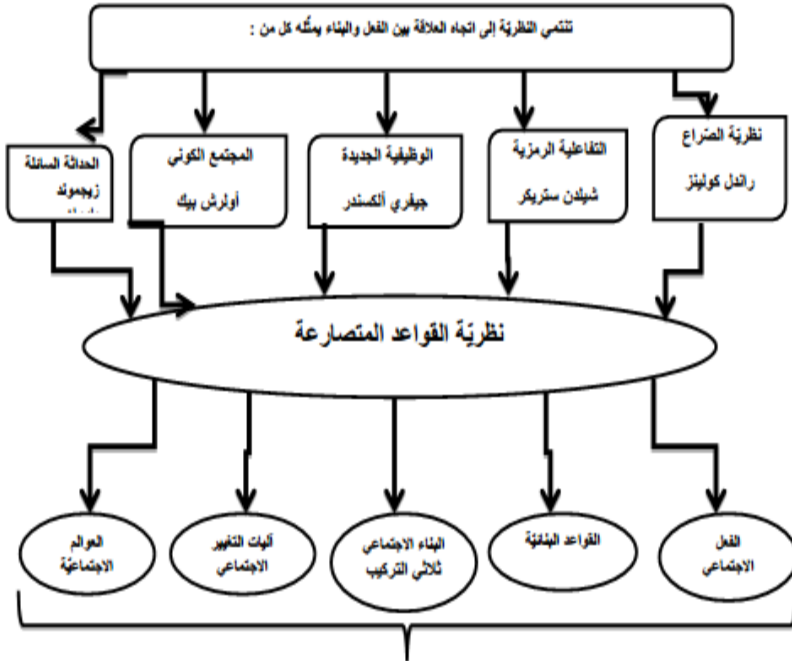
الحيوية أو الفكرية أو الروحية، ولتوضيح مفهوم القواعد البنائية حشد الدكتور بدوي مجموعة من الأسئلة تساعد على تحليل هذا المفهوم من قبيل: كيف تنشأ القاعدة ؟ وكيف تؤدي وظيفتها؟؟ وما أنواع القواعد؟ وما مجال عمل كل منها؟.

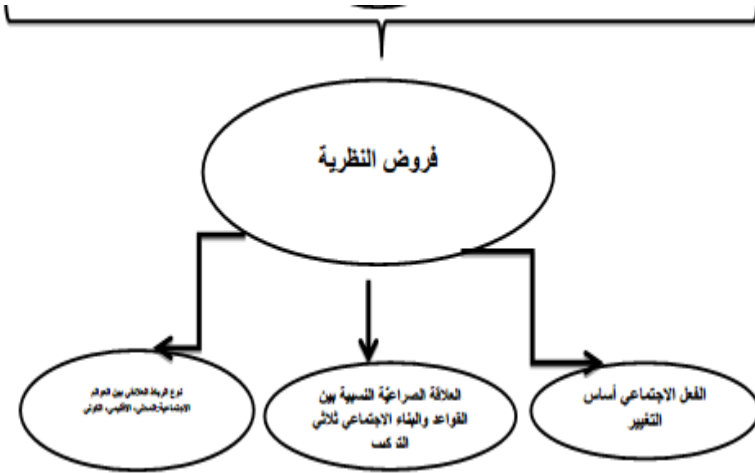
للإجابة على هذه الأسئلة ينطلق الدكتور أحمد بدوي من أسبقية وجود الفعل على البناء، باعتبار أن القاعدة البنائية هي عبارة عن فعل مجرد من الزمان والمكان، بإمكانه تحقيق منفعة ما للإنسان، أو قيمة منشودة، وبالتالي يؤدي إلى احتمال تكوين قاعدة في ميدانه فضلا على أن يحوز الفعل الخاصية البنائية مع ضرورة توافر شروط القبول والانتشار والتكرار بحيث يصبح الفعل مجردا من المكان والزمان معا كيف؟ يضرب لنا الدكتور بدوي مثالا توضيحيا يتمثل في (قاعدة دفن الجسد الميت)، بعدما كان عبارة عن فعل تعلمه أحد أبناء آدم بالمحاكاة، إذ تحول عن طريق توفر الشروط السابقة الذكر إلى قاعدة منظمة لسلوك الدفن في معظم المجتمعات البشرية، ونجد أن القاعدة نفسها قد تغيرت في مجتمعات أخرى حسب المعتقدات الدينية مثل فعل حرق الجسد الميت وذره في مهب الريح، أو تقطيعه، أو غير ذلك (إقليم التبت كمثال).

أما بالنسبة لدور وظيفة القواعد البنائية في تنظيم الفعل الاجتماعي فإنها تمر عبر عمليتين متزامنتين :

الأولى: تتمثل في عملية بلورة القاعدة في العقل الجمعي، بواسطة عمليات التنشئة الاجتماعية، مع تمريرها في عملية الاتصال والتواصل، والثانية فتتمثل في وضع نظام للجزاء الرمزي أو المادي (المكافأة أو العقاب) يطبق هذا النظام على الفاعلين حسب نوع ودرجة الامتثال أو المخالفة للقواعد. وبالتالي فإن العلاقة واضحة بين العمليتين السابقتين الذكر: بلورة القاعدة في العقل الجمعي ونظام الجزاء المرافق لعملية التنشئة الاجتماعية وكمثال على ذلك الوضعية الدونية للمرأة في مجتمع ذكوري، كحالة الحرمان من الحق في الميراث أو المعاقبة بدرجة أكبر على نفس الفعل (الخيانة الزوجية مثلا)...

تجدر الإشارة إلى أنه داخل كل عالم من العوالم الاجتماعية هناك آليات للتغيير الاجتماعي عبر الفعل الاجتماعي: الفعل الاجتماعي الحركي، الفعل السلطوي التقدمي، الفعل السلطوي التقدمي، الفعل السلطوي المتعسف، الفعل السلطوي غريب الأطوار، الفعل الاستثنائي، أو الكاريزمي التقدمي، وأخيرا الفعل الكاريزمي المتعسف، وفي إطار ذلك فإن القواعد قد تستجيب لعوامل التغيير المتنوعة، أما عن العلاقة بين العوالم الاجتماعية الخمسة، من حيث التجانس أو عدمه بين الحيوي، الفكري، والروحي، فكلما تنخفض درجة التجانس بين هذه العوالم الداخلية تزداد حدة الصراع الشبه دائم، وبالتالي تكاليف، أو زيادة تأثير مجتمع الاقليم، أو المجتمع الكوني والعكس صحيح. وفيما يلي نعرض مخططا توضيحيا لنظرية القواعد المتصارعة لرفع درجة الاستيعاب، وتذليل المناقشة :





*-مخطّط لنظرية القواعد المتصارعة (بدوي:2017-282، 218):

-مناقشة نتائج العرض:

لعلنا من خلال هذا الجهد نحسب للدكتور بدوي أنّه تجاسر على الاجتهاد في أرض جدباء قاحلة، ظلت عقيمة ردحا من الزّمن تفتت على فتات النظريات الغربية، لايجرؤ فيها أحد من الباحثين العرب على المغامرة، لذلك يحسب للدكتور بدوي هذه المحاولة المبدعة، والمتميّزة بصياغتها لمفاهيم جديدة تستحقّ التنويه، والالتفاف حولها لإثرائها وتطويرها ومن أهمّ هذه المفاهيم ما يلي :

-مفهوم البناء الاجتماعي ثلاثي التركيب، مفهوم البناء النفقي، ومفهوم مجتمع الإقليم، فضلا عن الكم الهائل من العلاقات ذات التشبيك الرّاسي والأفقي، وبصفتي متخصصة في الفلسفة

ومدركة لمعظم المفاهيم في العلوم الانسانية والاجتماعيّة فإنّ النظرية من خلال مفاهيمها مفتوحة على مختلف التخصصات الإنسانية والاجتماعيّة، كالفلسفة، وسوسيولوجيا التربية، والتاريخ، والسياسة... وإن دلّ هذا على شيء، إنّما يدلّ على قدرة الدكتور بدوي على تحصيل المعرفة السوسيولوجيّة، واستيعابها، وفهمها ونقدّها، فضلا عن التوظيف الجيّد لتراكميّة المعرفة السوسيولوجيّة لديه، وحذقه فيها وإعادة صياغتها بما يتلائم وواقعنا العربي.

في سياق تعاملنا مع النظرية لأول مرة، ومن خلال توظيفها في دراستنا حول المد السلفي في الجزائر استوقفتنا عدّة ملاحظات واستفسارات على البعض من الأفكار التي وردت فيها، غير أنّه سرعان ما تجلّى ذلك اللبس، بعد نشر الدكتور أحمد بدوي لمناقشات النظرية الشفوية العلنية التي جرت في النوادي الأدبية، والعلمية، وكذا الجامعات المصرية، فضلا عن المناقشات المكتوبة، والتي استقدنا منها، ولعلّ أهمّها مقال الدكتور أحمد سالم في مجلّة الفكر المعاصر حول النظرية، وملاحظات الدكتور علي الجلبي، التي ثمنها الدكتور أحمد بدوي، وتعهّد بإعادة مراجعتها، وإثراءها في الكتاب الذي سيصدره قريبا حول النظرية، ولعلّ من بين تلك الملاحظات التي أشارت الى روافد النظرية، وكونها مجرد استلهام، أو اجترار لنظرية الصراع عند راندل ونظرية التفاعلية الرمزية عند شبلدن والبنائية الوظيفية الجديدة ونظرية المجتمع الكوني يجب التذكير أنّ الدكتور بدوي صاحب النظرية قد أشار بنفسه الى الروافد الفكرية والنظرية التي ساعدته على انجاز النظرية، في صدر مقدمة نص النظرية المنشور في مجلة وادي النيل (ابريل 2018).

إذ تأثر بكل هذه النظريات، وقام باجترارها فكانت في مجملها كالمسبكة المعرفية التي يصعب فصل مكوناتها عن بعضها البعض، وهذا هو جوهر (التأليف) من الناحية الاستمولوجية، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ المؤلف لم يسع الى احداث قطيعة معرفية، ولم يرد ذكر كلمة (قطيعة أو ما يرادفها من معنى) في نص النظرية ولو مرة واحدة. ولم يدع المؤلف أنها فريدة من نوعها، ولا ينبغي لأي باحث مهما علا أو سفل أن يدعي بأنه يقدم في العلم شيئا فريدا، وللتذكير، فإنّ المؤلف يشير في الصفحة 217 الى هذه الفكرة كالاتي: "تتفق نظرية القواعد المتصارعة مع الكثير من الأفكار التي طرحها بورديو وجيندز وآرشر، ولكنها تختلف عن هذه النظريات في عدة نقاط جوهرية منها:

غير أنّ نظرية القواعد المتصارعة أبعد في طرحها عن نظرية الممارسة لدى بورديو، وأقرب الى نظرية تشكيل البنية لدى جيندز في علاقاتها

ومفاهيمها. وخاصة في قضية أسبقية الفعل على البناء. لكن (1) نظرية القواعد المتصارعة تضع القواعد الروحية ضمن عمليات تشكيل البناء الاجتماعي، على عكس التأثيرات الداروينية التي تلقي بظلالها على النظريات السوسيولوجية الغربية بكافة.

(2) كما أنّ نظرية القواعد، تقدم مفهوما للبناء الاجتماعي لم يسبق أن قدمه أي the three-fold social structure منظر كلاسيكي أو محدث، وهو البناء الاجتماعي ثلاثي التركيب (fold social structure). وهو المفهوم الذي ساعد على فهم الظواهر

الاجتماعية من ثلاث أبعاد (علاقتها ببناء الحس المشترك + علاقاتها بالبناء المؤسسي الحديث+ علاقتها بالبناء النفقي).

(3) مسألة أسبقية الفعل على البناء، محل خلاف لدى منظري العلاقة بين الفعل – البناء ، وعليه فهي ليست مسألة جوهرية في حد ذاتها، لأن في النهاية كل منظر من هؤلاء لابد أن يدرس البناء الاجتماعي. وبالتالي فإن البحث في تحقق هذه الفرضية من عدمها لن تؤثر كثيرا في كيان النظرية، **لكن المهم هو التحقق من الفروض الثلاثة للنظرية، والذي بدونه تفقد النظرية مشروعيتها العلمية.**

(4) **رغم وجود** تحديات كبيرة لقياس المتغيرات في نظرية القواعد المتصارعة. لكننا لا نتفق مع بعض الانتقادات الموجهة للنظرية على أن فروضها لا تحقق هدفها من فهم الواقع الاجتماعي، لماذا؟ لأن الظواهر الاجتماعية لم تعد بتلك البساطة التي يفيد معها وجود فروض بين متغيرين فقط، وأن الاتجاه نحو الفرض متعدد المتغيرات، ضرورة يحتمها الواقع من جهة، ومفهوم البناء الاجتماعي ثلاثي التركيب من جهة، وتقسيم العوالم الاجتماعية من جهة ثالثة. وفي كل الأحوال نحن لا نتجاوز الشروط العلمية، فتعريف الفرض العلمي هو: **قضية تمثل علاقة بين متغيرين أو أكثر ، تمثل تفسيراً محتملاً لمشكلة محددة ، تتأسس على الخبرات السابقة للباحث أو الباحثين ، أو حتى من خارج المجال ، أو بالاستناد إلى التخمين والحدس العميق . وتعتمد على المنطق في صياغتها.**

ومهما كانت الانتقادات الموجهة للنظرية فإن المؤلف يرحب بأي نقد يوجه لها، وسوف يجعله يعدل ويطور في المفاهيم والعلاقات الخاصة بالنظرية. كما أن أي **نظرية لا تفسر الواقع، ليس لها أي قيمة،** وبالتالي فإن اختبار فروض النظرية الثلاثة هو العمل المتمم لنقد البناء المنطقي للنظرية، وهذا الاختبار يحتاج إلى باحثين يؤمنون بفائدة النظرية في فهم ظواهر المجتمع على نحو أفضل من غيرها.

خاتمة

لعل البحث عن مكانة ضمن النظريات العالمية أمر مستحب ويجب تشجيعه والعمل عليه، وإلا فإننا نحكم على أنفسنا بالدونية العلمية، وعليه فإن نقد المحاولات النظرية يحتاج أكثر بكثير من الآراء المتسرعة، الانفعالية، وأحيانا التهكمية، يحتاج أكثر إلى نقد ايجابي، يقدم الرأي والدليل المنطقي أو الواقعي، لكن التعميم المتعسف، فيخرج النقد من دائرته العلمية الرصينة. ومؤلف نظرية القواعد ذكر بوضوح في نهاية نص النظرية بالحرف الواحد ما يلي:

"وحيث أنها أول نظرية سوسيولوجية عربية مكتملة الأركان، فهي تبرهن على قدرة الباحثين العرب على الخروج من حالة التبعية العلمية، والإسهام بجدية في تطوير علم الاجتماع على المستوى المحلي والإقليمي والكوني، ونرجو أن تخضع النظرية للنقاش الجاد، نقداً وتفنيداً وتعديلاً وتطويراً، من قبل الجماعة السوسيولوجية العربية. بطبيعة الحال هي نظرية يجب أن تموت عاجلاً أو آجلاً

لكي يستمر العلم ويرتقي. لكن الذي يجب ألا يموت أبدا هو ثقة الباحث العربي في ذاته وقدراته. ونأمل أن تكون نقطة انطلاق نحو علم اجتماع عربي مختلف. تجدر الإشارة إلى أن نظرية القواعد المتصارعة قد حققت أعلى نسبة مقروئية باللغات الأجنبية، بعد ترجمتها إلى مختلف اللغات العالمية: كالإيبينية، الانجليزية، الفرنسية، الإيطالية، الألمانية ..

يبقى أن الأمر الذي يجب أن نؤكد عليه من منبر مجلة المواقف، هو أننا نهيب بمختلف الفاعلين في العلوم الاجتماعية، ونستحث هم الباحثين الشباب على الإقبال على هذه النظرية، ومواصلة اثرائها وعرضها للنقاش، وحتى اتخاذها إطارا نظريا لدراساتهم الأكاديمية، ومراسلة الجهات المعنية وسلط التعليم العالي لإدماجها في برامج مقاييس المنهجية علها تصبح بديلا عن الاستعاضة بالتراث السوسيولوجي الغربي .

المراجع المعتمدة:

أحمد زايد(2018):الطريق إلى بناء نظرية اجتماعية عربية من تجاوز خطاب الأزمة إلى نقد الحداثة، مجلة الفكر المعاصر، العدد 10، الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. مصر.

أحمد محمد سالم (2018):من أزمة علم الاجتماع إلى السعي لتأسيس نظرية مصرية جديدة، مجلة الفكر المعاصر العدد 12، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. مصر.

أحمد موسى بدوي(2018).القواعد المتصارعة، نظرية عربية جديدة في علم الاجتماع، مجلة وادي النيل، عدد(65) ص217-282.

عقون مليكة(2019):ضمن مراجعات الاسلاميين العودة الى التطرف (الخطاب السلفي في الجزائر: واقع التوحش و مآل الصراع)- ص171الى 194،الكتاب 152،مركز المسبار للدراسات والبحوث دبي. الامارات العربية المتحدة .

للإحالة على هذا المقال:

- عقون مليكة، (2021)، « محطات في مسار تأسيس علم الاجتماع العربي المعاصر: تحليل نقدي لإسهامات أحمد موسى بدوي- نظرية القواعد المتصارعة أنموذجا». المواقف، المجلد: 17، العدد: 01، جويلية 2021، ص.ص 474-487.